محمـــــد تيمور

الممثل والناقد والمؤلف المصرى

للأستاذ زكى طليمات

[نص الكلمة التى ألقاها الأستاذ زكي طليمات مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف فى الحفلة التى أقامتها جماعة أنصار التمثيل والسينما بدار الأوبرا الملكية مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٨ فبراير ١٩٤٠ تكريماً لذكرى المرحوم محمد تيمور ، وذلك بمناسبة مرور عشرين عاما على وفاته]

إن الحديثَ عن تيمور لا تَخْلقُ جِدَّتهُ لمن نَعمَ بصداقة تيمور الراحل ، ومن قرأه فى أشعاره وفى مسرحياته . وحديثُ اليوم حديثُ الوفاءِ لمن عَمِلَ إلى جانب تيمور للمسرح وللفن ، واتفق وإياه فى المبدأ والفكرة العاملة . وحديثُ اليوم أيضاً هو درسُ الشبابِ ، الشبابِ الدارج الذى فاته أن يعرف تيمور أو أن يُطَالعَهُ فى كتبه الثلاثة

حينما لبى تيمورُ نِداءَ ربه منذُ عشرين عاماً ، وريعت مصرُ بفقده، وانتظمت جنازته فى شِبهِ موكبٍ قوى حافل — لم نشيعْ السريَ ابنَ الجاهِ الواسع والحسب الأصيل ، لم نشيعْ الشاعرَ اللهمَ فحسب ، وإنما شيعنا رجل المسرح المصرى الحق ، وكبير كتّابه ، وأخلص نصرائه

على هذا الاعتبار الذى يطغى على أى اعتبار آخر ، شيعنا محمد تيمور إلى مرقده الأخير ، ولما يتجاوز العقد الثالث من عمره . وليس فى ذلك إرخاص لشباب غض ذَوَىَ قبل أوانه ، وخُلق رضى متواضع قلما تُلمَحُ مخايله فى شباب الأعيان وأبناء الأرستقراطية التى تحسب أن النعم وقف على أبنائها ، ولا خفض لشأنِ البيانِ الذى كان تيمورُ من فرسانه ؛ وإنما إعلاء لشأنِ تلك الموهبةِ الفنية الخصبةِ التى أمدّت المسرح المصرى ، وهو يرقى أولى درجات نموّه بكثير من مقومات كيانه بعد أن ركّز فيه تيمور أعلاماً من العمل الباهر والجهاد الصادق

وما اجتمعنا اليوم إلا بنفس الدافع الذى دفع الناس من قبل إلى تشييع جنازة تيمور ...

اجتمعنا لنحيي ذكرى تيمور فى جهاده للمسرح المصرى : ممثلاً وكاتباً وناقداً .

وقد نجتمع غداً لنفس الدافع ، ولنفس الغرض ، وسيحمل الجيل القادم شرف هذه الرسالة ليسلمها بدوره إلى الجيل الذى يليه . هذا أمر أعتقدُه وأومن به ، لأننا ، وقد شملتنا اليقظة القومية، لا بد من أن نمجد ذكرى من عملوا لهذه القومية.

لأننا ، وقد أخذنا بتدعيم أسباب مسرح مصرى صحيح ، لا مناص من أن نشيد بذكر من جاهدوا فى سبيله ، وأن ننتزع من النسيان تلك الوجوه الكريمة ، التى شقت أفقاً ، ومهدت طريقاً ، وأهوت بيدها تنشئُ فى جدار ! ...

تيمور والمسرح

أتحدث الآن عن ذلك الجيل الذى عاش فيه تيمور ، جيل الجهاد الأول من جانب الشباب المثقف لاستخلاص طابع مصرى لفن التمثيل العربى ، ولإعلاء شأنه ، جيل الهواة الذين يرجع إليهم الفضل فيما انتهت إليه الحركة المسرحية اليوم

لئن قلت إن التمثيل كان قبلة تيمور فى مختلف أدوار حياته ، فإنى لا أقرر غير الواقع الذى شهد به كل من اتصل بتيمور

فما كان تيمور المراهقُ الذى كان يتخذ من أبهاء قصور آبائه مسارح مرتجلة ، ومن شقيقيه ومنّى ومن خلصائه ممثلين لفرقة مزعومة ...

هذا الجوّاب الصغير لدور التمثيل فى سن لا يحسُن فيها الذهاب إلى دور التمثيل، هذا المقلد (لسلامة حجازى) فى إنشاده ، ما كان تيمور هذا ، إلا ذلك الشاب اليافع ، الذى أعجب به الجمهور بعد ذلك ممثلاً فى حلقات السمر ، وفى حفلات الجمعيات التمثيلية ، ثم حياه ناقداً جريئاً ، ثم مجده مؤلفاً لمسرحيات مصرية طريفة هى الأولى من نوعها فى العهد الذى عاش فيه تيمور

وإذا حاولنا أن نقيمَ صلةً بين هَوِية تيمور بالمسرح وبين نشأته وبيئته وتقاليد أسرته لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، ولانتهينا إلى أن الإنسان حقاً لا يستقيم إلا على محتوم قضائه ومكتوب سيرته . (فتيمور) سليل بيت عريق فى الغنى والمجد وفى التقاليد التى تعتبر التمثيل رِجساً من أعمال الشيطان . و (تيمور) ابن بيتٍ عُرِف بالاشتغال بالأدب ، فعمته الشاعرة عائشة

التيمورية ، ووالده المؤرخ واللغوى المحقق أحمد تيمور باشا .

و (تيمور) اجتاز مراحل الدراسة فى مصر ، وسافر إلى أوربا لدراسة الحقوق ، ولم يكن بينه وبين نيل إجازته شىء ، لولا أن قطعت عليه الحرب العالمية الأخيرة سيرَ دراسته ...

ومع كل هذا فقد اعتلى تيمور المسرح ممثلاً قبل عودته من أوربا وبعد عودته منها وعلى الرغم من تبرم أهله وعشيرته بفن التمثيل ...

اعتلى المسرح وهو يشغل وظيفة التشريفى لدى عظمة السلطان حسين فى قصر عابدين ؛ فضرب بذلك المثل الحىّ على أن التمثيلَ هويةٌ شريفةٌ جديرة بأن يعمل فيها أكبر الناس حولةً من العلم والجاه والمركز الاجتماعى الممتاز . وهذا المثل فيه ما فيه من دلالة على أن المسرح يجب أن يكون مما يُعنَى به الشبابُ المتعلم والشباب الكريم المحتد . وأن المسرح ليس بالأرض التى قضى عليها بألا تحمل إلا الأغرار ومن تنكّبت بهم سبل العيش ومن خلت مواهبهم إلا من الجرأة والصوت الجهير ! ...

تيمور الممثل

ترأس (تيمور) أكثر من هيئة تمثيلية ، وعمِلَ مخرجاً وممثلاً فيها . بيد أن حياته فى فن الممثل ليست بالحياة الطويلة ، ولكنها على قصرها رسمت فن الممثل فى نسقه العالى ، وأقامت مدرسة لفن الإلقاء والتجويد لم تكن معروفة فى ذلك الوقت ، لأنها مدرسة كانت تقوم على الاعتدال والاتزان وصدق التعبير وجمال التأثير . جمع تيمور فى إلقائه قوة التصور والإدراك إلى قوة الأداء والتعبير فى تلك البساطة الفنية والحذق الباهر الذى يعمل على إرخاص الحواشى وإعلاء جوهر الكلام ، والذى يحمل التأثير إلى قلوب المستمعين ، لا إلى آذانهم !

هكذا شق تيمور الفجر الأول لما يجب أن يكون عليه الإلقاء والتمثيل من جانب الممثل والملقى

إلا أن الحركة التمثيلية لم تستفد الإفادة كلها من مواهب تيمور الممثل ؛ لأنه لم يكن فى وسع تيمور — وظروف بيئته على ما أجملنا وصفه — أن يحترف التمثيل فى الفرق العاملة

ويقينى أن تيمور لو احترف التمثيل لما أصاب فيه خيراً ، ولا اقتصرت مواهبه على تأدية بعض الأدوار ، ولا انصرف بذلك عما هو أهم وأجدى ، ولتبرم فى النهاية بالمسرح ومحترفيه

تيمور المؤرخ والناقد

إذا صح أن المسرح المصرى فقد فى إمساك تيمور عن احتراف التمثيل ممثلاً قديراً كان فى وسعه أن يرقى بفن الممثل إلى الدرج المرغوب فيه ، إذا صح هذا فإن المسرح لم يفقد فى تيمور ناقداً له ومؤرخاً لعصر من عصوره

إن ما كتبه تيمور ناقداً ومؤرخاً للمسرح المصرى متفرد فى بابه بالدقة والصراحة ، متفرّد فى ابتعاده عن التشيع وتلمس العيوب وحرق المباخر تحت ذقون زعماء المسرح المصرى

كان تيمور لا يكتب لشهوة الكلام ، أو للتظاهر بأنه حذق المسرح وفنونه ، ولا لأى غرض من الأغراض التى تدفع بعض نقاد المسرح إلى امتشاق القلم وخوض معارك الجدل ، وإنما كان يكتب لينزل الأشياء منازلها الصحيحة ، وليخط للنقد المسرحى طريقاً ، وليقيم له عرفاً ، وليذيع اسم المسرح فى كل مكان ، ثم ليرسم للعاملين فى المسرح الطرق والوسائل التى ترقى بهم وبفنهم نحو الكمال المنشود . ولعل تيمور أول من كتب منادياً بوجوب استقلال المسرح المصرى عن المسرح الغربى بروايانه وتصانيفه ، وبوسائل تأدية ممثليه

لو قال تيمور هذا وسكت لقلنا إنه إنما يزف نظريات استلهمها من تاريخ المسرح الغربى وتطوره ، وهو المسرح الذى نهل منه تيمور أعذب الموارد

تيمور المؤلف

ولكن تيمور قرن القول بالعمل والنظر بالتنفيذ ، فألف للمسرح مسرحيات تمتاز بطابع مصرى أصيل ، هذبت حواشيه وصقلت صميمه مطالعات بعيدة وتأملات واسعة فى نفائس الأدب المسرحى العام ، امتزجت بوفرة الاستعداد وخصب الموهبة وروح الشاعر

كتب تيمور ثلاث مسرحيات (العصفور فى القفص) ، و (عبد الستار) و (الهاوية) كما وضع مسرحية (العشرة الطيبة) ، والجديد فى هذه الروايات أنها عالجت موضوعات منتزعة من صميم الحياة المصرية والشرقية فى أسلوب أخذ نصيبه الوافر من طرافة الحوار ، ووضوح الفكرة ، وتغلغل هابطاً فى أعماق النفس البشرية ليسجل منها أصدق الخلجات وأخلص المشاعر

والجديد فى هذه الروايات أيضاً ، أنها كتبت باللغة العامية ، وهذا موضع العجب ، لأن تيمور كان يملك ناصية البيان العربى وله شعر رصين ينم عن تعمق فى دراسة اللغة ، والأخذ ببيان الأقدمين .

وكان التأليف للمسرح من جانب من هم على شاكلة تيمور فى ثقافته وأدبه إنما يجرى باللغة العربية الفصحى

تيمور واللغة العامية

يفسر هذا أن تيمور كان يعتقد — كما سبق أن جاهر بذلك فى مقالات عديدة — بأن لغة المسرح يجب أن تكون غير لغة المقال والأدب ، وأنه يجب مخاطبة الجمهور المستمع باللغة التى يفهمها ويحذقها ، أيًّا كانت لهجة هذه اللغة ونصيبها من البيان ، وأنه فى سبيل ذلك لا ضير على المؤلف للمسرح أن يكتب باللغة العامية ما دامت هـذه اللغة فى متناول كل الأذهان ومختلف الطبقات ، وأن لا ضير من إهمال جانب العربية فى الكتابة للمسرح حتى يجتاز التمثيل المصرى المرحلة الأولى من مراحل تكوينه ، وهى مرحلة نشره وإذاعته بين الجماهير

كان تيمور أول من سن هذه الشرعة الفنية فى وقت كانت تصدر فيه أغلب المسرحيات فى أسلوب عربى لو اهتم كاتبه بمقتضيات الفن فى نسج الرواية اهتمامه بتنميق اللفظ وإشراق البيان ، لكان للمسرح المصرى اليوم روايات عربيـة مقطوع بصحتها الأدبية والفنية معاً

تيمور والمصرية

وفوق هذا فقد كانت تعمُر قلب تيمور فكرة « المصرية » وهى فكرة ترمى إلى أن يكون الأدب المصرى مستقلاً عن الأدب العربى ، لا فى مناحى التفكير فحسب ، ولكن فى العبارة وأسلوبها إذا لزم الأمر

وهـذه « المصرية » تجلت فى كل ما كتبه تيمور قصاصاً وشاعراً .

والمصرية اليوم فكرة قد لا تلقى ترحيباً لدى بعض الرؤوس المفكرة ، ولها ما لها عند البعض ، وعليها ما عليها عند البعض الآخر ، إلا أننى أقول — وقد أخذت عن تيمور الكثير من ثقافتى الفنية والأدبية — إنه ستكون للمصرية ، ولا شك ، دولة فى القريب العاجل ما دمنا قد استكملنا مظاهر استقلالنا السياسى ، وما دمنا قد استشعرنا العزة القومية ، وأخذنا بأسباب نهضة ترمى فى الصميم إلى استقلال الفكر والأسلوب فى جميع نواحى الحياة الاجتماعية

ولم يك غريباً بعد أن أصدر تيمور مسرحياته باللغة العامية وهى تعالج موضوعات مصرية ، لم يك غريباً أن يقيم مدرسة جديدة فى الأدب المصرى ، والأدب العربى المستحدث ، اجتذبت نحوها مريدين وأنصاراً

وقد ننسى أن تيمور كان ممثلاً فذاً ، وكان ناقداً جريئاً ، وأنه أضاف جديداً إلى دولة الشعر والبيان ، وأنه دبّج للاصلاح الاجتماعى مقالات عديدة . قد ننسى كل هذا ، ولكننا لا نستطيع أن ننسى أن تيمور عمل للقومية المصرية الحقة بتأليف مسرحيات جديرة بالخلود لوفائها بشرائط الفن الرفيع ، مسرحيات تعتبر بحق من أحسن ما أخرجته الأقلام المصرية الدائبة على أن تجعل المسرح شقة من الأدب العربى المستحدث

كذلك لا نستطيع نسيان شىء آخر ، وهو نزول شاب عريق فى الحسب والجاه ، إلى العمل فى حقل جديد ، فى فن وافد حديث العهد بفنون هذه البلاد وتقاليدها ، ترمقه الأكثرية الغالبة من الناس بعين ملؤها الشك والازدراء ...

لا ننسى أن تيمور كان سبباً فى أن أخذ الناس يحسنون الظن بهذا الفن . وشد ما يحتاج هذا الفن إلى حسن ظن الناس به ! وأنه عمل له مجاهداً فدائياً بقدر ما وسعته بيئته وزمانه ، وأنه لم يلق قلم الجهاد حتى الساعة الأخيرة ، ويالها من ساعة سقطت فيها زهرة ندية بقطر الشباب ، تتنفس عن عطر فاغم ، بعد أن جادت بروائها وبنورها وبعطرها لتبقى منابت الورد موارد الإلهام وحصاد الخيال ومباعث الحنان ...

أيها السادة :

إن الذى نحتفل اليوم بتمجيد ذكراه ، شاب قضى فى ميعة العمر ونضوج الصبا ... فحيوا معى العروس المحتضر ، وأرسلوا البسمات صافية ، لأن الدموع على الشباب الراحل ضرب من السخرية ، ولون شائع من الحزن الرخيص ...

زكى طليمات

مجلس ظريف

شهدت من كثب ذلك المجلس فى مقهى، ومن عجب أن تقع عيناى على مجلس ظريف فى مثل ذلك المكان . أقول ذلك وإن عجب القارئ لقولى ؛ على أنى أرجو منه المعذرة ، فأنا أكره المقاهى حتى ما أطيق الجلوس فيها إلا لضرورة . ولئن أنكرت وجود مجلس ظريف فى أحدها فرد ذلك إلى جهلى بها لا ريب فى ذلك ... ولست أدرى لم أسأل نفسى أبداً كلما مررت بمقهى: أيتفرج الجالسون فيه على السابلة ، أم هم أنفسهم صنف من المعروضات يتفرج عليهم المارة فيما يتفرجون عليه من معروضات الشارع ؟ أما عن نفسى فأنا أتفرج دائماً على هؤلاء الجلوس ضاحكا ؛ وكم يذهب خيالى فى تصويرهم لى مذاهب لن أطاوع قلمى فى ذكرها

ذهبت فى المساء أطلب الهدوء فى أحد أطراف المدينة فلت إلى مقهى هناك كاد يكون خالياً ، وقد اجتذبنى ما بدا لى من هدوئه . وجلست وحدى فى ركن من أركانه أمنى النفس بجلسة تعيد لى خيال منعزلى فى القرية ؛ ولكنى لم أكد أستشعر الهدوء حتى أقبل جماعة لم أشك أنهم من طالبى الهدوء مثلى . وآية ذلك أنهم كانوا يضحكون فى جلبة شديدة ، ويقطع بعضهم على بعض الحديث قبل أن يأخذوا أماكنهم ! ورأيتهم جلسوا فى نصف دائرة أمام واحد منهم جعلوا له الصدارة ، وقد دل مظهره على أنه جدير بهذه الصدارة . والحق لقد كان فى مجموع شكله يخيل إلى أنه نكتة تمثلت بشراً !

وبدأ الحديث أو قل استمر ، فهم لم يمسكوا منذ رأيتهم مقبلين. وكأنما اعتزم هؤلاء أن يضحكوا أكثر ما يستطيعون من الضحك كما لو كانوا واثقين أن هذه آخر فرصة للضحك فى حياتهم !

كانوا إلا واحداً أو اثنين قد جاوزوا الأربعين بقليل كما تراءى لى . أما كبيرهم فأحسبه كان يحبو للخمسين من عمره الدرك ، وكانوا جميعاً يشتركون فى صفة واحدة ؛ ذلك أن عليهم طابع الديوان، فما تلبث العين — ولو بغير منظار — أن ترى فيهم نفراً من هؤلاء الذين يتربعون أمام المكاتب أثناء النهار وقد ارتسمت على وجوههم أمارات الجاه واتضحت دلائل الحكومة

ودار حديثهم أول ما دار حول « عزومة » كانوا خارجين منها لتوهم، فلم أسمع إلا النكتة تتلو النكتة . ولقد غاية عنى لسوء حظى أكثر هاتيك النكات فيما كان ينطلق من أفواههم من قهقهات عالية متواصلة ! ورأيتهم يرسلون ضحكاتهم العريضة قبل النكتة وبعدها ، فما تنفرج شفتا زعيمهم حتى تنبعث الضحكات مجلجلة من بين شفاههم ، وإن لم يسمعوا ما يقول . فلقد كان يضحك الواحد منهم أحياناً ملء شدقيه ، ثم يميل على جاره يسأله : ماذا كانت النكتة ؟ وكانت تسمج بعض النكات ، ولكن الضحك يظل على حاله من الشدة ، حتى لا أدرى أيحمل هنا على المجاملة أم أن سخف النكتة إذا اشتد قد يكون فى ذاته باعثاً من بواعث الضحك منها ؟ على أنى رأيت للمجاملة هنا شأناً كبيراً ، فكل من هؤلاء يضحك لكى يضحك لقوله الآخرون بدورهم ، وإن جاوز فى السخف أبعد حدوده ...

ومن غريب أمر هؤلاء الظرفاء أنهم لم يتورعوا عن ذكر اسم مضيفهم المسكين أكثر من مرة ، ولم يتركوا شيئاً مما قدم لهم من الطعام ، ولا مما رأوه من متاع بيته إلا جعلوه موضعاً لظرفهم وقلبوه على أوضاعه جميعاً ، فهذا زفت مجسم سمى « بالكفتة » ؛ وهذه « الفتة » كان ينقص أن تقدم فى طست النسيل ؛ وهذا الصنف جىء به من « المسمط » ، وهذا الخبز سيسأل عن تقديمه لهم بين يدى الله ، أو ذلك البرتقال من « سوق الكانتو » وتلك الأطباق والملاعق لا شك وقف عزيز من أوقاف المرحوم جده ... وإنه إذا أراد أن ينتقم غداً من الرئيس فلان فليس أبلغ فى الانتقام منه من أن يدعوه إلى مثل هذه « الأكلة » ...

وليتهم استمروا فيما هم فيه ، ولم يخرجوا منه إلى استعراض الكثير غيره من أعراض الناس فى مجلسهم الظريف ، وللحديث شجون كما يقولون، وليس يبالى هؤلاء القوم فى ساعة «حظهم» إلى من يتطرق الحديث ، ولا أى موضع يتناول

وشبعت نفسى مما طلبت من هدوء ، فانصرفت مسروراً برؤيتى هذا المجلس الظريف ؛ وأنا أقول فى نفسى كم يوجد من أشباه هذا المجلس الظريف ونظائره فى الطبقات الأخرى من المجتمع وفى غير أركان المقاهى من النواحى ، فما تلك المجالس إلا براهين قاطعة على أننا قد بدأنا نأخذ أنفسنا بالجد من الأمور ، وأننا إذا لهونا فإنما نحسن اللهو كما نحسن الجد فى هذه الحياة .

« عين »